مجلة جامعة الملك سعود، م٩، الآداب (٢)، ص ص ٥٣٧-٥٦٥ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

الأدوات والمواد التقليدية المستخدمة في الكتابة بكتاتيب نجد

عبدالله بن إبراهيم العمير
أستاذ مساعد، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب،
جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر بتاريخ ١٥/ ٧/ ١٤١٦هـ؛ وقبل للنشر بتاريخ ٩/ ٢/ ١٤١٧هـ)

ملخص البحث. ينقسم البحث إلى محورين أساسيين: يتناول الأول الأدوات التقليدية المستخدمة في الكتابة كالألواح الخشبية والأقلام ومايتبعها من أدوات تعين على تعلم الكتابة والقراءة في تلك الفترة، يدخل في ذلك أنواع هذه الأدوات والمواد المصنوعة منها وطرق تجهيزها وصناعتها وأماكن إنتاجها وما إلى ذلك. أما المحور الثاني، فسيتناول المواد المستخدمة في الكتابة ككيفية تحضيرها من مصادرها الأساسية، وكذلك أنواع هذه المواد، سواء كانت عضوية أو غير عضوية، والفروق بينها ومميزات كل منها. والهدف من البحث هو التعرف بشكل عام على الأساليب التراثية القديمة الناجعة التي ساعدت على تعلم الكتابة والقراءة في ظروف عاشت فيها نجد بقدرات ومهارات ذاتية محدودة، بعيدة عن المؤثرات الخارجية المتعددة.

المقدمة

ترتبط الكتابة والقراءة ارتباطاً وثيقاً بحياة الأمم والشعوب، وبمقدار التصاق الفرد بالعلوم والمعارف التي يكتسبها على مر السنين، يمكن أن يقاس مستوى حضارته وتمدنه. ولقد ابتدع الإنسان وسائل مساعدة سهلت عليه سرعة تعلم الكتابة والقراءة، هذه الوسائل هي أدوات ومواد متعددة سخرها من خامات بيئته التي يعيش فيها. وهي وإن كانت

بسيطة في تركيبها وهيئتها، إلا أنها عولجت وكُيّفت حتى أصبحت ناجعة في أداء الوظيفة التي أُعدّت لها. وما إن عُرفت جدوى هذه الأدوات حتى أضحت عناصر أساسية فعالة ومكملَة لرسالة تعليم القراءة والكتابة، تنمو وتزدهر لتطورها، وتذبل وتضمحل عند إخفاقها.

ولا غرابة أن تولي الأمم جلّ اهتمامها وحرصها لهذا الجانب حتى عدَّ محورًا فعالاً وهاجساً ملحاً في مسيرة رعاياها في الماضي والحاضر. ولقد تمثل ذلك جليّا في حياة الأمة الإسلامية وحضارتها، حينما كانت أول كلمة أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد. هي كلمة ﴿اقرأ﴾،[1] وهي فعل أمر لابد من تنفيذه والامتثال له. ثم تتتابع الإشارات عبر آيات قرآنية متفرقة إلى كثير من الأدوات والمواد المستخدمة في الكتابة، بل إن منها ماكان موضع قسَم المولى عز وجل، وهذا دليل على أهمية هذه المواد والتصاقها بالإنسان المسلم. وعبر العصور الإسلامية المختلفة أدى الازدهار الحضاري المطرد في كثير من مجالات العلوم والفنون إلى استحداث أدوات ومواد كتابية جديدة سهلت عملية التعليم وساعدت على نشر العلم في شتى الآفاق.

إن الأدوات والمواد التقليدية المستخدمة في الكتابة في الظروف الراهنة بمنطقة نجد بالمملكة العربية السعودية لاتتفق تمامًا وأصولها السابقة، لا من حيث الوفرة ولا من حيث تعدد الأنماط والأشكال المستخدمة. وهذا يعود إلى جملة ظروف مؤثرة، منها السياسية والاقتصادية، ومنها الجغرافية والاجتماعية، فقد اتخذت أدوات ومواد الكتابة بنجد سمة التواضع والبساطة. لهذا، فإن هذه الدراسة سوف تركز بشكل خاص على تلك الأدوات والمواد الكتابية المستخدمة في مرحلة " التعليم الأولي " أي مرحلة الدراسة في الكُتّاب، لأنها في واقع الأمر تمثل الصورة المميزة لأسلوب التعليم في تلك الفترة. وسيشمل ذلك دراسة المواد الأوليّة القديمة وأساليب إعدادها وكيفية استخدامها، في ظروف كانت فيها نجد تتفاعل مع قدراتها ومهارات أبنائها، بعيداً عن المؤثرات الخارجية المتعددة.

---

(١) *القرآن الكريم*، سورة العلق، الآية١.

حدود موضوع الدراسة الجغرافية والزمنية

من خلال تتبع روايات الجغرافيين عن حدود منطقة نجد يجد المرء نفسه أمام أخبار متضاربة ومتناقضة حول هذا الموضوع، ولعل هذا يعزى لأسباب ومبررات ربما تكون في مجملها منطقية. كأن يكون ذلك الجغرافي أو الراوي يتحدث عن المنطقة وحدودها في فترة سياسية أو إدارية معينة. بينما يتحدث جغرافي آخر عن حدود نجد من حيث اختلاف تضاريس المنطقة ودورها في تقسيم أقاليمها تقسيمًا طبيعيًا، ومن هنا يحدث بعض التباين في التعريف بالمنطقة وحدودها. وغايتنا في هذه الدراسة ليس الوقوف على حدود منطقة نجد من خلال سرد آراء وروايات المؤرخين والجغرافيين، وإنما التعرف على واقعها الاجتماعي والتربوي من خلال ذكر بعض روايات القدماء والمحدثين.

فقد جاء في تحديد منطقة نجد عند ابن خرداذبه عندما وصف إحدى الطرق التجارية المارة عبر الجزيرة العربية: «إذا خرجت من الكوفة وبلغت العذيب وقعت في نجد، وأنت في نجد إلى أن تبلغ ذات عرق، ثم تقع في تهامة، وعن يمينك إذا خرجت من الكوفة إلى الشام نجد، وعن يسارك إذا خرجت من الكوفة العرض إلى الطائف نجد.»[٢] وحدد ياقوت الحموي منطقة نجد في معجم *البلدان* بقوله: «نجد هي اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام.»[٣] أما القلقشندي فيقول: «نجد هي الناحية التي بين الحجاز والعراق.»[٤]

وهذا يعني أن نجداً عرفت عند الأقدمين بأنها تحتلّ مساحة شاسعة في وسط شبه الجزيرة العربية، وهو تحديد يتفق في خطوطه العريضة مع التحديد الذي أثبته معظم المؤرخين المحدثين، كعبد الفتاح أبو علية الذي يقول: «ونجد كتعريف جغرافي يطلق على الأرض المرتفعة التي تشمل قلب شبه جزيرة العرب، ويحد نجداً من الغرب الهضاب الغربية

---

(٢) أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه، *المسالك والممالك* (بغداد: مكتبة المثنى، ١٨٨٩م)، ص١٢٥.

(٣) ياقوت الحموي، *معجم البلدان* (بيروت: دار صادر، ١٩٨٤م)، جـ٢، ص٢٦٢.

(٤) أبو العباس أحمد القلقشندي، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩م)، ص١٦.

(سفوح السراة) والحجاز، ويمتد شرقًا حتى الدهناء والأحساء ويمتد من الشمال من صحراء النفود حتى صحراء الربع الخالي في الجنوب . . . والإقليم يشمل واحات كثيرة كالقصيم وسدير والحوطة والحريق ووادي الدواسر والوشم والمحمل والعارض والخرج وواحات جبل شمر . »[٥] أما أمين الريحاني، فقد أوضح عند تحديده لمنطقة نجد طبيعة هذه المنطقة طبغرافياً، وذلك بقوله: « إن نجداً ليصدق إذن معنى اسمه أي هي المرتفع من الأرض، وفي هذه الأراضي المرتفعة شمالا وغربًا وجنوبًا أماكن تختلف في العلا والوطاء بعضها عن بعض، فالقصيم مثلا يعلو ألف قدم فوق العارض، وحائل تعلو نحو ذلك فوق القصيم، واليمامة هي خمسمائة قدم دون الرياض . »[٦]

أما حدود الدراسة الزمنية فقد أطلقنا عليها « الفترة التقليدية، » وهي تشمل بعض النماذج التراثية الإسلامية المتأخرة، وهذه الفترة في واقع الأمر ليس لها حدود زمنية مؤرخة لا في المملكة ولا في غيرها من الدول. حيث إن المادة الأولى من دستور منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عرفت التراث الثقافي (الآثار) «على أنه تلك النصب ومجموعة المباني والمواقع الأثرية التي لها قيمة عالمية مميزة لجهة التاريخ والفن والعلوم. وتركت المادة الثالثة للدول الأطراف تحديد تلك الملكيات الواقعة على أرضها التي تراها جزءا من هذا التراث . »[٧] وهذا يعني أن التراث الشعبي التقليدي، من صناعات وفنون وعمارة وغيرها غير محدد بفترة معينة، بل يحدد من قبل كل بلد حسب قدمه واستخدامه واستمراريته. وينطبق ذلك على المقتنيات الشعبية التقليدية التي صنّعت واستعملت في الماضي واستمر تداولها في الفترات المتأخرة. الأمر الذي يجعل تحديد

---

(٥) عبدالفتاح حسن أبو علية، *محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى* (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٣هـ)، ص١٣.

(٦) أمين الريحاني، *تاريخ نجد الحديث وسيرة الملك عبدالعزيز عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها*، ط٦ (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٧هـ)، ص٢٢.

(٧) هشام حمدان، «مسألة الحماية الدولية للآثار، » *الفكر العربي*، مجلة الاتحاد العربي للعلوم الإنسانية، معهد الاتحاد العربي، بيروت، م٥٢ (١٩٨٨م)، ص٢٨.

تاريخ معين لهذه الفترة التقليدية أمرًا غير ثابت، حيث إن هناك مقتنيات تراثية (شعبية - تقليدية) عمرها الزمني يختلف عن عمر مقتنيات أخرى. (٨)

الكتاتيب والتعليم في نجد

الكُتّاب هو المكان الذي يجتمع فيه مجموعة من الطلبة أو الطالبات بمعلمهم أو معلمتهم لدراسة وتعلم مبادىء القراءة والكتابة. وهو في معظم الأحيان يكون عبارة عن بناء مرفق بداخل المسجد أو خارجه على شكل غرفة متوسطة الحجم مفروشة بالرمل أو البطحاء (الحصباء) أو الحصير، وفي أحيان قليلة يكون فيها دكات ملاصقة لجدار الكتّاب من الداخل وتكون ذات ارتفاع يناسب جلوس الطلاب أمام معلمهم. وفي بعض الحالات تكون الدراسة في مصباح المسجد أي بيت الصلاة أو في صحنه على حسب فصول السنة، بدون أي بناء مخصص للدراسة، وبالذات في البلدان الصغيرة ذات الطلاب المحدودين. (٩) وفي هذه الحالة يتحلق الطلاب حول معلمهم حلقة واحدة أو أكثر ويتم تدريسهم جماعات وفرادى. وفي حالات أخرى يكون الكتّاب خارج المسجد في مبنى ملائم للدراسة أو في منزل المعلم أو المعلمة الذي يكون في الغالب قريبًا من المسجد.

ويقوم بمهمة التدريس بالكتّاب معلم تجتمع فيه خصال حميدة، كالورع والصلاح والنصح، وغيرها من هذه المميزات، بالإضافة إلى إلمامه بالكتابة والقراءة. ويلقب هذا

---

(٨) جاء في تعريف(الأثر) حسب نظام الآثار الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/ ٢٦ وتاريخ ٢٣/ ٦/ ١٣٩٢هـ في مادته الخامسة مايلي: «تعتبر آثار المتلكات الثابتة والمنقولة التي بناها أو صنعها أو أنتجها أو كيفها أو رسمها الإنسان قبل ٢٠٠ سنة أو تكون قد تكونت لها خصائص أثرية بفعل عوامل طبيعية قديمة»؛ *نظام الآثار* الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/ ٢٦، ط٢ (الرياض: مطابع الحكومة، ١٣٩٩هـ).

(٩) انظر وصفاً شاملاً للمدارس (الكتاتيب) وشكلها وعناصرها المعمارية وموقعها بالنسبة للمسجد، ومواد البناء المستخدمة فيها وكذا مكوناتها، لدى: سعود فهد الشويش، «مساجد أثرية قديمة من وسط نجد: دراسة أثرية معمارية،» رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الآثار والمتاحف، الرياض، ١٤١٥هـ، ص ص ٢٥٢ـ ٢٥٥.

الشخص الذي يكون في معظم الأحيان إمام المسجد أو الجامع بـ « المطوَّع » أو « المطوَّعة » التي تقوم بتعليم البنات، « ويطلق هذا اللقب على من مرتبته العلمية أدنى من مرتبة الشيخ، فيلقب به أئمة المساجد وطلبة العلم ومعلمو الصبية. »[١٠] ويعطى المعلم أجره مما يتيسر لدى أولياء أمور الطلاب من المنتجات الزراعية والحيوانية من القمح والدقيق والتمر والسمن وبعض الملابس، وفي حالات قليلة تكون مكافأة المعلم نقدية. وبالإضافة إلى مهمة التعليم كان المطوَّع يتولى في كثير من الأحيان خدمات أخرى للطلاب، كبري الأقلام، وطلاء الألواح، وتحضير الحبر، كما كان يقدم الأقلام والألواح مجانًا للطالب الذي يرى أنه في حاجة إليها.

وتبدأ الدراسة في الكتّاب ضحى كل يوم، أي بعد انتهاء مشاركة الطلاب ذويهم في أعمالهم المختلفة وتستمر لمدة ساعتين أو ثلاث. وتستأنف الدراسة بعد الظهر لمدة ساعة أو ساعتين، وفي أحيان أخرى تكون الدراسة بعد صلاة العصر.[١١] وكان

---

(١٠) عبدالله بن يوسف الشبل، « التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، » *مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء*، ع ٢ (١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ)، ص٥١٦.

(١١) لقد كان المصدر الأساسي لمعظم المعلومات التي حصلت عليها عن الكتاتيب في منطقة نجد هو مجموعة أشخاص من بلدان متفرقة، درسوا في الكتاتيب ولديهم دراية كاملة عن صناعة وتجهيز أدوات ومواد الكتابة. أجريت مع هؤلاء مقابلات أدلوا خلالها بمعلومات مفيدة عن نظام التعليم بالكتّاب وعن مناهج الدراسة وأماكنها وأوقاتها. وكذا عن الأدوات والمواد المستخدمة في تعلم الكتابة والقراءة. وهؤلاء الأشخاص هم: والدي الكريم إبراهيم بن عثمان العمير (غاف الجواء بالقصيم)، محمد بن سليمان المزيني (نجار من بريدة)، حمد بن عبدالرحمن الشايع (المجمعة)، إبراهيم الصقيران (الدوادمي)، عبدالكريم المحمد الشدوخي (الرياض)، محمد عبدالله المنيف (الرياض)، سعد بن سعيد بن زرّاق العتيبي (الرياض)، فللجميع جزيل الشكر والعرفان. ولمعرفة المزيد في هذا الموضوع انظر: محمد بن عبدالعزيز القويعي، *تراث الأجداد* (الرياض: مطابع المجد التجارية، ١٤٠٢هـ)، جـ٢، ص ص ٣١٣-٣١٤؛ حسن بن فهد الهويمل، بريدة، سلسلة هذه بلادنا، ط٢ (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤٠٨هـ)، ص ص ٨٣-٨٥؛ صالح بن سليمان الوشمي، *الجواء*، سلسلة هذه بلادنا (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، =

أسلوب الدراسة في كتاتيب نجد لا يختلف عما كان عليه في عصور الإسلام الأولى، كما لا يختلف عما كان عليه في أي بلد عربي، [١٢] حيث كان يعتمد على تعليم الصغار مبادىء الكتابة والقراءة وتحفيظهم القرآن الكريم ومبادىء الحساب وبعض العلوم والمعارف الأساسية المهمة. وكانت طريقة التدريس وتعليم الهجاء ونطق الحروف على الطريقة الفردية وهي ألف - باء - تاء - . . . ثم البدء بنطق الحركات عليها، ثم تكوين كلمة من مجموعة أحرف تدل على إنسان أو حيوان من البيئة. وكانت الكتاتيب في بلدان نجد بشكل عام «متشابهة إلى حد بعيد من حيث أهدافها، والمحتوى الدراسي المقدم فيها وطريقة التدريس.» [١٣]

ولقد كان التعليم في كتاتيب نجد وأمثالها من مدارس المملكة يعتمد بشكل أكبر «على الطريقة القديمة العتيقة التي ترتكز على الحفظ لا على التفكير.» [١٤] وعلى الرغم من أن التعليم في تلك الفترة يكاد ينحصر في العلوم الدينية، فقد «كان معدوماً عند قطاع كبير من سكان نجد وهم البادية. وكان نادرًا بين فئات الحضر من هذه المنطقة. فصعوبة المعيشة آنذاك وعدم توفير رعاية مالية كافية لمن يتولى التعليم وقفا في طريق الغالبية العظمى

=١٤٠٨هـ)، ص ص ٧١-٧٢؛ علي بن سليمان المقوشي، *البكيرية*، سلسلة هذه بلادنا، ط٢ (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤٠٨هـ)، ص ص ٥٧-٥٨؛ محمد بن عبد الله السلمان، عنيزة، سلسلة هذه بلادنا (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٠هـ)، ص ص ٧١-٧٢، ١٢٢-١٢٣؛ فهد العلي العريفي، *حائل*، سلسلة هذه بلادنا، ط٢ (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤٠٨هـ)، ص١٠٢؛ محمد عبدالعزيز القباني، *ضرماء*، سلسلة هذه بلادنا، ط٢ (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٣هـ)، ص ص ٨٢-٨٥.

(١٢) عبد الله بن محمد الشهيل، *فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣-١٣٥١هـ، دراسة تحليلية تاريخية* (الرياض: دار الوطن، ١٤٠٤هـ)، ص٢٣٨.

(١٣) إبراهيم محمد إبراهيم، «الدولة السعودية الثانية: ١٢٣٥ - ١٣٤٥هـ، الإمام تركي بن عبدالله،» *مجلة التربية المعاصرة*، القاهرة، ع ٨ (١٩٨٧م)، ص٢٧٨.

(١٤) حافظ وهبة، *جزيرة العرب في القرن العشرين*، ط٣ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٥هـ)، ص١٢٤.

من السكان المحتاجين إلى المعرفة. ومع ذلك فقد كانت هناك محاولات لنشر العلم لا بأس بها حسب الإمكانات المتوافرة آنذاك.»[١٥]

وبعد أن يتم الطلاب تعليمهم الأولي في الكتّاب، فإن منهم من ينتقل إلى مرحلة التعليم المتقدم والتي يتولى التدريس فيها المشايخ من علماء الشريعة الإسلامية، ومركز التعليم في تلك المرحلة المساجد.[١٦]

أدوات الكتابة: خاماتها وطرق صناعتها

استخدمت عبر العصور الإسلامية المختلفة أدوات كتابية كثيرة ومتنوعة، منها ما هو ضروري للكاتب ولا غنى له عنه، ومنها ما هو ثانوي وظيفته تحسين استخدام ماهو ضروري، وهي في مجملها مشتقة من البيئة المحلية، ومصنعة بأساليب إسلامية وتقليدية. ولقد عني المسلمون بالأدوات التي يكتب بها وعليها من حيث جودة مادتها وإتقان صناعتها وحسن هيئتها حتى عرفت لذلك ضوابط دقيقة، كل ذلك روعي في سبيل أداء وظيفة هذه الأدوات التي تعد رافدًا أساسيًا في عملية الكتابة في شتى مجالاتها.

ولقد كتب المسلمون على مواد متنوعة كأكتاف الإبل والغنم وأضلاعها، وعلى الرق والأديم، والقضيم وغيرها من أنواع الجلود، كذلك كتبوا على المهارق القماشية البيضاء.[١٧] كما استخدموا سعف النخل وأنواع الأخشاب، وكل هذه المواد عضوية

---

(١٥) عبدالله الصالح العثيمين، *الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره* (الرياض: دار العلوم، ١٩٧٩م)، ص١٦.

(١٦) الشبل، «التعليم،» ص٥٠٩.

(١٧) لمزيد من التفاصيل حول المواد التي استخدمها المسلمون في مجال الكتابة انظر: أبو العباس أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا* (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للكتاب، ١٣٨٣هـ)، جـ٢، ص ص٤٤١-٤٨١؛ أبا بكر محمد الصولي، *أدب الكتاب* (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤١هـ)، ص ص ٥٣-١١٥؛ عبدالستار الحلوجي، *المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري* (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٨هـ)، ص ص ١٧-٤٣؛ محمد عبدالجواد الأصمعي، *تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام ونوابغ* =

صالحة للكتابة. وهناك مواد غير عضوية كأنواع الحجارة البيض الرقاق، وهي مايسمى باللخاف، وكذلك الفخار، وما شابهها من المواد المحلية الصلبة.

أما في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، فإن أدوات الكتابة فيها تميزت بالبساطة وعدم التعقيد، بل تكاد تكون بدائية في مادتها ومظهرها. لكن الذي لاشك فيه أنها تعتمد على تقاليد إسلامية أصيلة، سواء من حيث موادها الخام وأساليب صناعتها أو من حيث طرزها ووظائفها. [١٨] فقد اعتمد سكان منطقة نجد على مواد اشتقوها من بيئتهم المحلية وصنعوا منها أدواتهم بمهارة فائقة على الرغم من شح مصادرها الطبيعية.

وتأتي شجرة الأثل على رأس قائمة الأشجار القليلة الصالحة لإنتاج أدوات الكتابة في نجد، فمن أخشابها تصنع ألواح الكتابة بأحجامها المختلفة، وكذلك المحابر أو الدّوى، ومن أعوادها تعد الأقلام بأشكال وأحجام متباينة. وإلى جانب الأثل استغلت أخشاب شجر الطلح والسدر المتناثر في كثير من شعاب وصحاري نجد، وإن كانت هذه لاتقارن بالأثل المتوافر في الواحات الزراعية القريبة من المجتمعات البشرية. كما استغلت أنواع متعددة من الأشجار والنباتات الزراعية والبرية ودخلت بشكل مباشر في تجهيز أدوات الكتابة وصناعتها، ففي المدن يقوم النجار المحترف في معظم الأحيان بإعداد هذه الأدوات، ويدفع له مبلغ نقدي قيمة لها، وقد يختلف شكل الأداة وحجمها وجمالها بما يتناسب مع

= *المصورين والرسامين من العرب في العصور الإسلامية* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م)، ص ص ٨٨ـ ١٠٠؛ عبدالعزيز الدالي، *الخطاطة: الكتابة العربية*، ط٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ)، ص ص ١٠٥ـ ١١١.

(١٨) انظر على سبيل المقارنة بين المحابر الإسلامية المبكرة المستخدمة في المملكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ومحابرنا المستخدمة في الفترات الإسلامية المتأخرة، محبرة خشبية عثر عليها في مدينة الربذة ذات شكل مستطيل بها مستودعان للمداد ومقلمة يصاحبها قلم خشبي صغير؛ سعد عبدالعزيز الراشد، *الربذة صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملة العربية السعودية* (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ)، شكل ٩٧، ص٨٢.

إمكانات الناس ومراتبهم.[١٩] أما في البلدان الصغيرة، فإن النجار المستقر أو المتجول يأخذ أجره مقايضة من منتجات البلد الزراعية والحيوانية وماشابهها.

وتتطلب صناعة هذه الأدوات، كما هو الحال في كثير من منتجات هذه المادة، الاحتياط لها قبل قطع الأخشاب التي سوف تصنع منها الأدوات، إذ لابد من قطعها في أوقات معينة من السنة وخصوصاً عند دخول موسم الوسم والمربعانية،[٢٠] حيث إن قطع الأخشاب في غير هذين الفصلين يتسبب في تشقق الأخشاب، كما يتسبب في وصول الضاروب أو القادوح إليها. وبعد قطع الأخشاب يتم (تشكيرها) أي قطع الأغصان منها وتجزئتها إلى أجزاء كبيرة، ثم تترك حتى تجف، وبعد ذلك تنقل إلى دكان النجار الذي يبدأ في تفصيلها بالمنشار إلى أوصال متفاوتة الأحجام لتلبي منتجات حرفته المتعددة، ويمكن تصنيف تلك الأدوات على النحو التالي:

أولاً - ألواح الكتابة

اللوح هو «كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب.»[٢١] ولعله يأتي على رأس قائمة أدوات الكتابة من حيث الاهتمام به، سواءً كان ذلك من قبل الطالب أو من قبل النجار الذي يتولى صناعته. فعندما يريد النجار صناعة لوح كتابة، فإنه يعمد إلى نشر الخشبة بطريقة رأسية بحيث يمكن أن يحصل على بضعة ألواح من وصلة خشبية واحدة، ويعتمد العدد وكذلك العرض على قطر تلك الوصلة الخشبية المنشورة. وفي أحيان قليلة عندما تكون القطعة الخشبية عريضة جدًا، فإنه يمكن تفصيلها أفقياً، ولو أن العادة درجت على ترك مثل هذه القطع العريضة

(١٩) محمد بن سعد الشويعر، *فصول من تاريخ مدن المملكة العربية السعودية: شقراء* (الرياض: دار العلوم، ١٤٠٥هـ)، ص١٧٩.

(٢٠) يعود تشقق الأخشاب المقطوعة وكذا وصول الضاروب إليها، إلى سريان الماء في الأشجار من عدمه حسب فصول السنة، حيث اعتيد على دفن الأخشاب في الرمل أو وضعها في برك المياه، لفترات معينة وذلك عندما تقطع في الوقت غير المناسب، حتى يتسنى للنجار الاشتغال بها.

(٢١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، جـ٢، ص٥٨٤.

لصناعة أدوات أخرى كالصحاف والمغارف والمحال وغيرها. في حين تنتقى تلك الأخشاب التي يكون عرضها في حدود الشبر لإعداد ألواح الكتابة، ويمكن في بعض الحالات تعشيق لوحين صغيرين بواسطة جريد النخل للحصول على لوح كبير الحجم.

وليس لهذه الألواح في الحقيقة مقاسات معينة وثابتة، لامن حيث الطول ولا من حيث العرض أو السمك، لكن معظمها يكون في حدود الذراع طولاً والشبر عرضاً و (قفلتين)[٢٢] للسمك (٥٠ x ٢٠ x ٣سم) (شكل رقم ١). وعلى حسب هذه المقاسات،

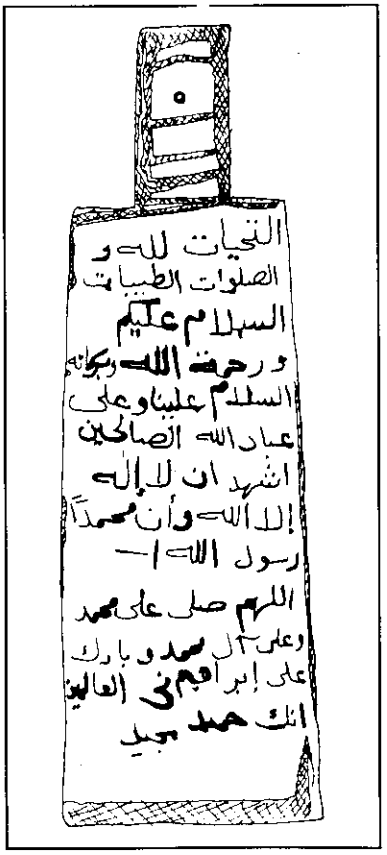

شكل رقم١. لوح الكتابة مصنوع من خشب الساج (متحف التراث الشعبي بكلية الآداب).

(٢٢) القفلة هي مقياس يقدر بعرض إصبع واحدة من أصابع اليد وتكون عادة السبابة، وعندما يكون المقياس قفلتين فإنه يؤخذ بعرض إصبعين هما السبابة والوسطى، وهكذا حتى تكتمل أصابع اليد.

فإن اللوح يكون ذا شكل مستطيل، له في منتصف حافته العلوية بروز صغير مستطيل الشكل تقريباً (٥x٧سم) يطلق عليه (أذن أو رقبة اللوح) وهي عروة أو (معلاقة) بها ثقب صغير يربط بها عادة خيط مناسب يعلق به اللوح، سواء في الكتّاب أو المنزل وذلك لحفظه من أي تلف. وبعد أن يأخذ اللوح شكله النهائي، فإن النجار يزيل ما بأسطحه من زوائد ناتئة وذلك بواسطة مبشرة حادة، ثم يتبع ذلك بصنفرتها بمبارد ناعمة أو خشنة يمررها على اللوح بطريقة متعاقبة ومتعاكسة ليعطيه أكبر قدر ممكن من الاستواء، وإلى هنا ينتهي دور النجار ويأتي دور الطالب.

طلاء اللوح

قبل البدء في الكتابة على اللوح الخشبي لابد للطالب من إنجاز عملية تكميلية تساعد على حسن استخدام اللوح، هذه العملية هي طلاء أو (طلي) وجه اللوح بمادة طينية أو جيرية، أو «بمادة خاصة من الجبس أو الكروم الأبيض.»[٢٣] وهذه المادة من شأنها تنعيم سطح اللوح لتسهيل الكتابة عليه بسلاسة، وكذلك ليسهل مسح الكتابة عندما يتعلمها الطالب. والمادة الجيرية هذه تعرف في بعض بلدان نجد بـ « الطلو »[٢٤] وكذلك تعرف بـ «بيضا لوح،»[٢٥] وفي بلدان أخرى يطلق عليها « الصالوخ.»[٢٦] وتؤخذ من الكثبان الطينية أو التلال والجبال الصخرية القريبة من هذه البلدان، إذ لاتكاد تخلو معظم مناطق نجد من هذه المادة، سواء كانت ذات لون أبيض أو رمادي. كما أن هناك من يطلق على مادة ذلك الطلو اسم «كِثل» وتجمع من أكمات توجد قرب مناطق سبخة.[٢٧]

---

(٢٣) الشبل، «التعليم،» ص٥٠٨.

(٢٤) القويعي، *بريدة*، ص٣١٣؛ الوشمي، *الجواء*، ص٧١.

(٢٥) عبدالرحمن بن زيد السويداء، *نجد في الأمس القريب: صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاما* (الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ)، ص٢١٠.

(٢٦) الشويعر، *فصول*، ص١٧٩.

(٢٧) الوشمي، *الجواء*، ص٧١.

ويتم طلاء اللوح الخشبي بالمادة المذكورة بين فترة وأخرى عندما يريد الطالب إزالة ماكتب عليه، بحيث يغمسه في قدر ماء يعد عادة لهذا الغرض داخل مكان الدراسة أو خارجه في مكان الوضوء بالمسجد أو حتى في أحواض وبرك الماء في المزارع القريبة، بحيث يغسل جيدًا بالماء والتراب أو ليف النخل. ونظرًا لكون معظم مكونات مواد الحبر التي يكتب بها مواد عضوية تكون غالبًا شديدة الالتصاق بوجه اللوح، فإن الحبر لايزول نهائياً بل تبقى له آثار واضحة للكتابة الأولى أو سواد خفيف يعم وجه اللوح. لذلك لابد من طلائه بتلك المادة وجليه بشكل سريع حتى يتحول لونه إلى البياض، وفي الوقت نفسه تكسبه المادة ملمسا مصقولا تسهل عملية الكتابة عليه من جديد، وقد اعتيد على الاحتفاظ بكمية كافية من هذا (الطلو) في مكان الدراسة لاستخدامه وقت الحاجة.

وبالرغم من كون العملية السالفة الذكر معروفة ومزاولة في غالبية مناطق نجد، فهناك من طلاب المدن من كان يستغني عنها ويكتفي بغسل اللوح بالماء والتراب، ثم يعاود الكتابة دون طلاء. ولعل السبب الرئيس في ذلك يعود إلى عدم وجود الطينة المناسبة للطلاء في الأماكن المجاورة لتلك البلدان.

وهناك أسلوب آخر نادر الاستعمال، يستخدم في إزالة الكتابة من على وجه اللوح وهو استخدام مساحة (الرصيل)، وهي عبارة عن قطعة بحجم الكف من الطين الجاف الصلب. [٢٨] ولعل استخدام هذه المسَّاحة الطينية يشبه أسلوب الطلاء السابق، وإن كان في هذه الحالة يتم دون غسل اللوح بالماء، إذ ربما يكون للمسَّاحة من الفاعلية ما يجعلها تطمس الكتابة وتصقل اللوح في آن واحد.

ويستخدم اللوح لتعليم الكتابة والقراءة على غرار السبورة المتنقلة. ويتولى المعلم في بداية الأمر الكتابة عليه حتى يتعلم الطالب كيفية النسخ من لوح معلمه أو الكتابة بشكل تلقائي، وتكون الكتابة في الغالب على وجه اللوح فقط، أما ظهره فيترك للمعلم ليسجل عليه واجبات الطالب أو (الخطَّة) المدرسية. وعندما يعرف أو يحفظ الطالب ماكتب على لوحه، فإن المعلم يقول له: «اطل لوحك حافظ،» ثم يغسله ويطليه ويسجل عليه خطة جديدة. إن استخدام اللوح أو السبورة المنفردة لكل طالب بهذه الصورة أسلوب تعليمي

(٢٨) القباني، ضرماء، ص٨٢.

وتربوي ناجح، بحيث يتعلم الطالب ماكتب على لوحه بمعزل عن زملائه، وإذا تيقن المعلم من معرفة أي طالب لواجبه فإنه يأذن له بالتقدم، في حينٍ يستمر أولئك الذين لم يتمكنوا من الدرس في خطتهم حتى يتقنوها.

وإلى جانب اللوح الخشبي الذي يحتل الصدارة في عملية التعليم في الكتاتيب، هناك أسلوب تعليمي آخر يستخدم بشكل ناجع ومفيد، هذا الأسلوب هو الكتابة بإصبع اليد على الأرض، إذ كانت معظم ساحات المساجد وكذا الكتاتيب في ذلك الوقت، تفرش بالبطحاء (الحصباء) على أرض رملية نظيفة. فإذا أراد المعلم أو الطالب كتابة معلومة ما، فإنه يبعد طبقة البطحاء العلوية ثم يكتب على التربة السفلية، وإذا علم المقصود، تعاد طبقة البطحاء إلى مكانها، وكأنه في هذه الحالة كشف عن سبورة أرضية استخدمها ثم غطاها.[٢٩]

ثانيا : الدُّوى

هي عبارة عن وعاء خشبي مُقسّم إلى فراغات صغيرة تتناسب وما يودع بها من المداد والأقلام، وتعد هذه الأداة « أم آلات الكتابة وسمطها الجامع لها . »[٣٠] وقد جاء في وصفها: «سبيل الدّواة أن تكون متوسطة في قدرها لا بالقصيرة فتقصر أقلامها، ولا بالكثيفة فيثقل محملها وتعجف . »[٣١] وتصنع الدّواة[٣٢] أو المحبرة إما من أوصال خشبية مجزأة من قطع كبيرة الحجم أو من أخشاب يتناسب سمكها مع حجم الدواة

(٢٩) أود أن أتقدم بجزيل الشكر إلى عبدالرحمن بن حمد العكرش، عضو هيئة التدريس بقسم علوم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الذي أدلى بهذه المعلومة القيمة وغيرها عن الكتاتيب في نجد، فهو ممن درسوا في أحد هذه الكتاتيب وذلك في مسجد ابن سنان في حي دخنة بالرياض على يد طيب الذكر المطوع محمد بن سنان.

(٣٠) القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٢، ص٤٤١.

(٣١) القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٢، ص٤٤٢.

(٣٢) يعلل بعض الدارسين في كتاتيب تلك الفترة سبب تسمية الدواة بهذا الاسم إلى أن ما يوضع فيها من مواد كانوا يسمونه «دواء.»

المصنعة . وتتكون الدواة من جزأين أساسيين : أحدهما بدن المحبرة والآخر غطاؤها . فأما بدن المحبرة السفلي ، فهو عبارة عن وصلة خشبية مستطيلة يحفر في مقدمة سطحها العلوي حفرة دائرية صغيرة بقطر ٢ - ٤سم ، وعمق ٤سم ، وتسمى (المحبرة) ، ومنها أخذت الأداة مسماها ، كما يطلق عليها (اللوكة) باللهجة الدارجة ومصدرها « الليقة»[٣٣] العربية الأصل . يودع بالحفرة الصغيرة قطعة قطن [٣٤] أو قماش (خرقة) تعرف محلياً بـ (الثّملة) توضع عليها مادة الحبر إن كانت جافة أو تسكب إن كانت سائلة ، ثم توضع عليها نسبة قليلة من الماء كلما شحت كمية الحبر فيها . وفي حالات نادرة يوضع داخل تلك الحفرة أو المحبرة وعاء خزفي صغير أو صفيحة معدنية لمنع تسرب الحبر أو لمجرد الاحتفاظ به أطول مدة ممكنة .

وفي المساحة الواقعة خلف المحبرة يحفر (يمخى) حوض متطاول مستطيل بطول ١٢سم ، وعرض ٣سم ، وعمق ٤سم تقريباً (لوحة رقم ١) ، وفي حالات قليلة يكون هذا مزدوجاً (لوحة رقم ٢) ، ويطلق عليه (بيت أو محل القلم) يودع فيه العود الخشبي أو (القلم) عند الانتهاء من الكتابة به . وإذا كان المتعارف عليه والأكثر شيوعًا أن يطلق على كامل الأداة (مَحْبَرة) بسبب تلك الحفرة التي يودع فيها الحبر ، فإن هناك من يسمي الأداة (مقلمة) بسبب وجود (بيت القلم) الذي تحفظ الأقلام داخله . [٣٥]

ويوجد في الجزء السفلي من الدواة عدا هذين التجويفين الخاصين باحتواء مداد الكتابة ، أجزاء أخرى تكمل تكوين المحبرة . أحدها بروز في مقدمتها يسمى (المشطوف) ذو شكل مضلع أحد حوافه مقصوص بشكل مائل وذلك لاستقبال طرف غطاء المحبرة

---

(٣٣) الليقة : هي قطعة حرير أو قطن أو صوف تودع في المحبرة ويوضع عليها الحبر والأولى أن تكون من الحرير «لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة» ؛ القلقشندي ، *صبح الأعشى* ، جـ٢ ، ص ص ٤٥٨ـ٤٥٩ .

(٣٤) جاء عند الصولي : «الكرسف القطن خاصة دون غيره ، ثم صاروا يسمون كل شيء وقع موقعه في الدواة من صوف وخرقة كرسفا» ؛ *أدب الكتاب* ، ص ١٠٠ .

(٣٥) أشار القلقشندي إلى تلك الآلات التي تشتمل عليها الدواة وهي سبع عشرة آلة ، أول كل آلة منها ميم كالمزبر ، المقط ، الملواق ، المسحة . . .إلخ ، *صبح الأعشى* ، جـ٢ ، ص ص ٤٧٩ـ٤٨١ .

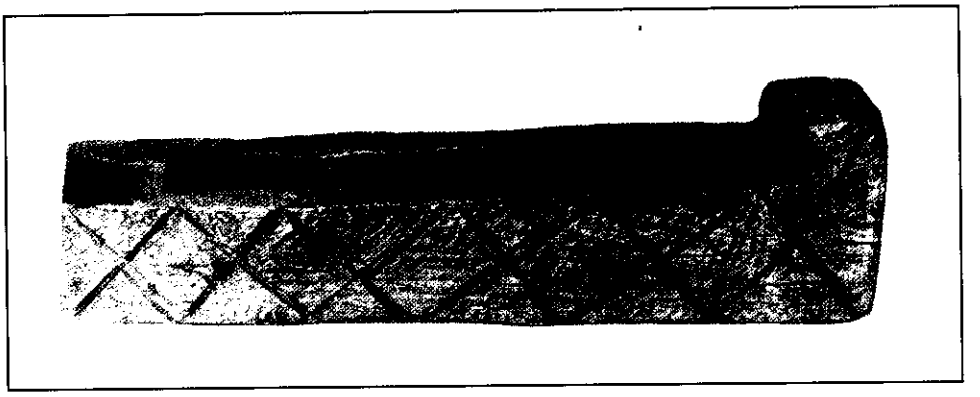

لوحة رقم ١. دواة بدون غطاء مصنوعة من خشب الأثل (مجموعة الباحث).

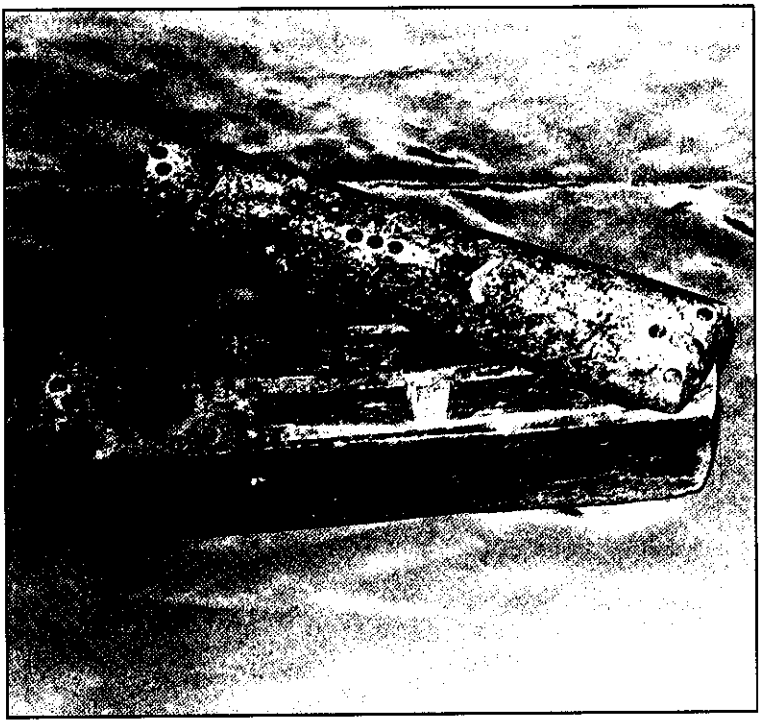

لوحة رقم ٢. دواة مكتملة مصنوعة من خشب الأثل (متحف التراث الشعبي بكلية الآداب).

المقصوص بنفس الهيئة لكي تتطابق الشطفتان ويمتنع الغطاء من الانزلاق. أما الجزء الثاني، فهو عبارة عن ثقب صغير يكون في الطرف الآخر من سطح المحبرة العلوي وظيفته استقبال مسمار خشبي يمسك غطاء المحبرة. وهناك جزء ثالث هو قطعة خشبية مثبتة في منتصف الجانب الذي ينفتح الغطاء نحوه، وتعمل هذه القطعة الخشبية بمثابة «ردّاد» أو قفل متحرك في غطاء المحبرة، ويمكن أن يستعاض عن هذا القفل الخشبي بوضع ثقب صغير في الحافة العلوية للمحبرة في الجهة التي ينزلق الغطاء نحوها، بحيث يوضع في الثقب عود صغير يمنع انزلاق الغطاء.

أما بالنسبة لغطاء المحبرة، فإنه في معظم الحالات يتكون من لوح مسطح يأخذ هيئة الجزء السفلي، وأحياناً يتكون من قطعة خشبية يتناسب سمكها مع سمك المحبرة يكون ذا شكل محدب، أي على شكل وصلة خشبية مقصوصة عمودياً، ويوجد في نهاية حافته الخلفية ثقب صغير يثبت الغطاء من خلاله بالمسمار الخشبي الآنف الذكر. أما مقدمة الغطاء فتكون مشطوفة بزاوية تتناسب والشطفة السفلية بالمحبرة بحيث تؤدي هذه إلى دفع الغطاء نحو الأمام وليس إلى الخلف (شكل رقم ٢). ويعود السبب الرئيسي لاستخدام هذا الأسلوب إلى عدم توافر المفصلات المعدنية في تلك الفترة والتي بواسطتها يمكن أن يثبت الغطاء بالدواة ويفتح نحو الأعلى.

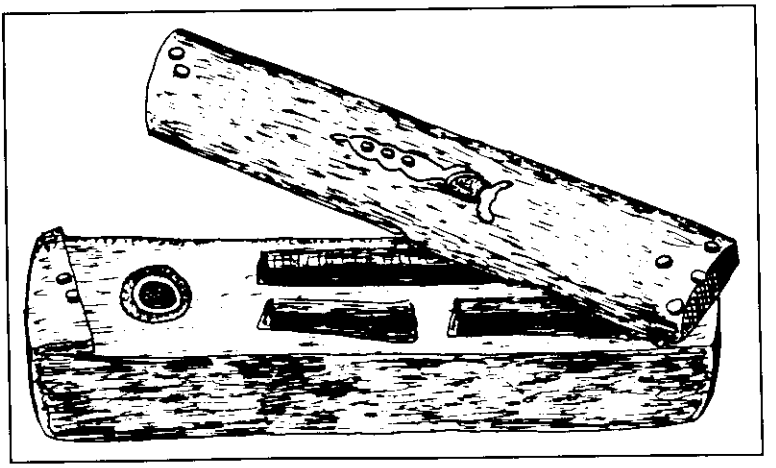

شكل رقم ٢. دواة مصنوعة من خشب الأثل (متحف التراث الشعبي بكلية الآداب).

ثالثاً : الأقلام

تتخذ أقلام الكتابة[٣٦] المستخدمة في الفترة التقليدية بنجد من منتجات البيئة الموجودة في بلدانها المتفرقة، وليس هناك قاعدة تُتبّع لإعداد القلم من مادة خاصة أو بحجم أو مواصفات معينة، إذ يمكن أن يتخذ القلم من أغصان ومواد معظم الأشجار والنباتات. على أن هناك أشجارًا اشتهرت بأن موادها تصلح لأن تكون أقلامًا بشكل أفضل من غيرها، إما لسبب وفرتها أو لاستقامتها أو لسهولة إعدادها. ومن هذه الأقلام ما هو مأخوذ من شجر الأثل، والرمان، والأرطي، والطلح، أو من جريد النخل، وسيقان العصفر والذرة وغيرها. ولاشك أن جمال خط القلم يتوقف بالدرجة الأولى على إتقان ومهارة الكاتب وليس على نوعية القلم المكتوب به.

وبالنظر إلى طبيعة هذه الأقلام نجد أنها متباينة ويمكن تقسيمها إلى صنفين:

١ - الأقلام المصمتة

يمكن إعداد الأقلام المتخذة من الأعواد المصمتة كأعواد الأثل، والرمان، والأرطي (شكل رقم ٣، أ، ب، جـ) و «أعواد الخيزران»[٣٧] وماشابهها، وذلك بتسويته وتهذيبه ثم يبرى أحد أطرافه على هيئة قلم الرصاص، ويكون بذلك جاهزًا للاستخدام. ويقوم الدارس في الغالب بإعداد وبري أقلامه بنفسه، وفي بعض الحالات يقوم بهذه المهمة المعلم (المطوَّع)، وفي حالات أخرى يقوم النجار بتجهيز الأقلام حينما يكلف بنجارة لوح الكتابة أو الدواة. ويتم بري القلم بواسطة سكين حادة بحيث يمسك القلم من منتصفه بإحدى اليدين وبالأخرى يتم قشط رأسه بالسكين من جميع جهاته حتى يصبح ذا طرف مدبب.[٣٨] وأسلوب البري هذا هو الأكثر والأسهل استعمالا من قبل الطلاب ومعلميهم، ولقد أطلق اسم «مبراة» على بعض أنواع السكاكين الصغيرة المستخدمة في هذه العملية. أما النجار،

---

(٣٦) القلم مشتق «من التقليم وهو القطع ومنه تقليم حافر الدابة ومنه قلمت ظفري»؛ الصولي، *أدب الكتاب*، ص٨٧.

(٣٧) الشبل، «التعليم،» ٣ ص ٥٠٩.

(٣٨) انظر عن كيفية بري القلم ومحل البراية وكيفية إمساك السكين حال البري وغيرها؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٢، ص ص ٤٥٥-٤٥٨.

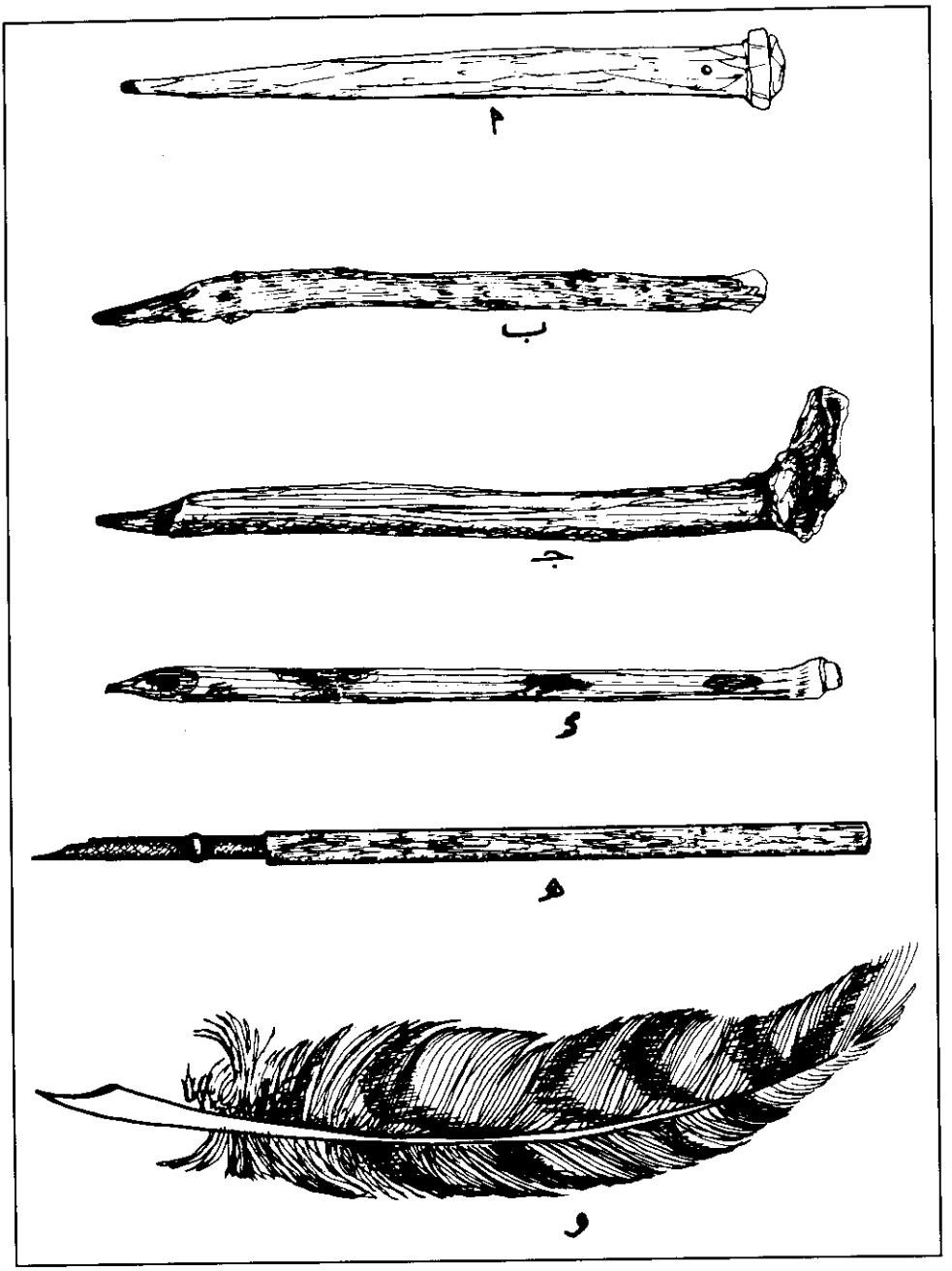

شكل رقم ٣. مجموعة أعواد وريشة طائر تبرى ثم يكتب بها على غرار القلم.

فإنه، بالإضافة إلى هذه الطريقة، فإنه يستخدم أسلوبًا بكاد يكون خاصًا به نظرًا لتوافر الأدوات المناسبة لذلك. ويتمثل هذا الأسلوب في استخدام فأس النجار «القدوم» بحيث يضعه على الأرض ويثبته برجله جاعلاً حده القاطع نحو الأعلى، ثم يمسك القلم بكلتا يديه ويمرر رأسه على حد القدوم حتى يأخذ شكله النهائي.

٢ - الأقلام المفرغة

هناك أقلام تتخذ من أعواد مفرغة على هيئة الأنبوب كسيقان نبات العصفر والذرة المزروعة محلياً (شكل رقم ٣، د) أو من البوص الذي «كان يجلب من الأحساء،»[٣٩] وفي هذه الحالة يختلف أسلوب تجهيزها للكتابة عن سابقتها. حيث يقط أحد أطرافها بطريقة مائلة (مشطوفة) على هيئة قلم الحبر السائل، وقد جاء في وصف بري هذا النوع من الأقلام: «حرف قطة قلمك قليلا ليتعلق المداد به ورهف جانبيه ليرد ما استودعته إلى مقصدة.»[٤٠] ولقد جرت العادة على أن الطالب المبتدئ يستخدم عند بداية تعلمه للكتابة أنواع الأقلام المصمتة أي التي تكون مبرية على غرار القلم الرصاص، لأن لها القدرة على تحمل عثرات الطالب المستجد، وبعد أن يتقن كيفية الإمساك بالقلم ويعرف مبادئ الكتابة، فإنه حينئذ يستعمل تلك الأقلام المفرغة.

وإلى جانب هذه الأقلام المستخدمة في سائر أنحاء نجد هناك أنماط أخرى تستعمل على نطاق محدود بحسب توافرها. ومن هذه ريش بعض أنواع الطيور، وخصوصاً الكبير منها كالصقور والنسور والنعام، إذ يؤخذ ريشها الكائن في أطراف أجنحتها والمعروف بـ «القوادم»[٤١] أو «المقاديم» (شكل رقم ٣ هـ)، وكذلك هناك شوكة النيص ذي الحجم الكبير. ويمكن أن تستخدم هذه الأنواع على غرار الأقلام المصمتة، حيث إن كلاً من ريشة الطائر وشوكة النيص لها أطراف مدببة، كما يمكن استخدامها على غرار الأقلام المعدة من سيقان الذرة والعصفر وذلك بعد بريها بالطريقة المناسبة. كما لا يستبعد استعمال عظام سيقان بعض الحيوانات، حيث إنها ذات مواصفات مناسبة للكتابة.

---

(٣٩) القباني، *ضرماء*، ص٨٣.

(٤٠) الصولي، *أدب الكتاب*، ص٨٦.

(٤١) الوشمي، *الجواء*، ص٧٢.

ومن الجدير بالإشارة أن أسلوب الكتابة يتم بغمس طرف القلم في المداد داخل المحبرة ثم الكتابة به على اللوح، بحيث يكتب بمداد الغمسة الواحدة مابين أربعة إلى خمسة أحرف. وفي حالة الخطأ أو الرغبة في إزالة حرف أو كلمة ما فإن الطالب يكشط ذلك بمؤخرة القلم أو يطمسها طمساً طفيفاً ثم يتابع الكتابة.

مواد الكتابة

تشتق مواد الكتابة من مصادر متنوعة في البيئة النجدية، وعلى الرغم من كون المواد المستخدمة ناجحة وتفي بالغرض على الوجه المطلوب، فإن مايستخدم منها للكتابة كان محدودًا. ولقد كانت تعد محليًا وبخبرة ذاتية اعتمادًا على ما تجود به كل منطقة من مناطق نجد المترامية الأطراف، فمنها مايعتمد على الأشجار والنباتات، ومنها مايعتمد على مخلفات النار أو الدخان.[٤٢] وتعرف هذه المواد في مجملها بالمداد، وسمِّي بذلك «لأنه يمد القلم أي يعينه، وكل شئ مددت به شيئاً فهو مداد.»[٤٣] كما يطلق عليها حبر «لأنه تحبر به الأخبار،»[٤٤] وقد قيل «إنما سمي الحبر حِبْرًا لتحسينه الخط من قولهم حبرت الشيء تحبيرًا وحبرته حبرًا زينته وحسنته.»[٤٥]

وأمام تنوع المواد المستخدمة لصناعة الأحبار يمكن تقسيمها إلى قسمين هما:

أولاً: مواد عضوية

يقصد بالمواد العضوية ما يستخرج من ثمار أو أوراق الأشجار والنباتات بالوسائل المحلية المتعارف عليها من أصباغ وأحبار متنوعة وذات وظائف مختلفة. ولعل ما يكون

---

(٤٢) ضمن مجموعة «ابن طوق» المحفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض هناك ورقة كتبت بخط إبراهيم بن عبدالرحمن بن طوق، تناول فيها طرق إعداد وتجهيز الأحبار الملونة، وهي تبرز بشكل عام مدى معرفة أهل المنطقة لأسرار هذه الصنعة، ويبدو أن كاتب تلك الورقة قد اطلع على ماكتبه القلقشندي حول هذا الموضوع في *صبح الأعشى*، جـ٢، ص ص ٤٧١ـ٤٧٨.

(٤٣) القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٢، ص٤٧١.

(٤٤) الصولي، *أدب الكتاب*، ص٩٤.

(٤٥) الصولي، *أدب الكتاب*، ص١٠٤.

منها معداً للكتابة يأتي في مرحلة ثانوية، في حين نجد أن ما يخصص لأغراض أخرى كصبغ الثياب أو للزينة تكون له الأولوية، حيث يلاحظ أن المواد المستخرج منها أحبار الكتابة هي إما من ثمار نباتات وأشجار برية أو من منتجات زراعية لاتصلح للاستخدام الإنساني. غير أن الأصباغ المعدة لاستعمالات الإنسان اليومية مستخرجة من نباتات مستزرعة كالعصفر والحناء والكركم، وكذلك ثمار شجرة الرمان التي تؤخذ قشورها المعروفة بـ« قروف الرمان» فتجفف ثم تطحن وتغلى بالماء مع إضافة نسبة قليلة من الملح، والصمغ أحياناً،(٤٦) وبهذا تتحول هذه التركيبة إلى مداد جاهز للاستخدام.

كذلك هناك شجرة التنوم والتي تعرف في كثير من بلدان نجد بـ « أذن الحمار» أو «الكتم.»(٤٧) وهذه الشجرة البرية تخرج ثمارًا على شكل أزارير أو كرات صغيرة، وبعد نضجها تقطف الثمار وتترك حتى تجف ثم تحمس وتسخن وتخلط بكمية من الماء وتكون بذلك صالحة للكتابة. ويتميز حبر هذه الشجرة بأنه ذو لون يميل إلى الزرقة، ولعله يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الحبر الأسود المستخرج من مواد غير عضوية.

ثانياً: مواد غير عضوية

يكاد ينحصر الحبر المأخوذ من مواد غير عضوية في مادة " السِّنو "، وهي تلك المادة الملتصقة على أسطح أواني الطبخ وخصوصًا القدور ذات الأحجام الكبيرة. ويتكون السنو بفعل تراكم طبقات دخان الوقود وهو الحطب على أسطح القدور، ويساعد على ذلك تدفق الماء أو بخاره على الأواني بحيث يلتصق عليها الدخان بشكل سريع وعلى هيئة طبقات. ونظرًا لانتشار استخدام هذه المادة وكثرتها في مناطق نجد، فإنه يطلق عليها عدة مسميات محلية متقاربة كالسِّنون،(٤٨) والسَّناء، وسنا القدور وسواد القدور.

ويتم إعداد الحبر من هذه المادة بكشط طبقات السنو عن سطح الآنية بأداة حادة إذا كانت سميكة أو تجميعها بواسطة خوص النخيل أو حتى قطعة قماش مناسبة إذا لم يتكون

(٤٦) القباني، *ضرماء*، ص٨٣.

(٤٧) الوشمي، *الجواء*، ص٧٢.

(٤٨) يقابل هذه المادة في كتب التراث مايعرف بـ«حبر الدخان» أو «سخام النفط»؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٢، ص٤٧٦.

بعد على هيئة طبقات. ثم يسخن ويجمع في إناء به كمية من الماء ويضاف إليه جزء يسير من صمغ شجر الطلح[٤٩] أو القرضاء، ثم يوضع الإناء على النار ويتم تحريك محتواه حتى يذوب الصمغ ويختلط تماما بالسنو. وتكمن أهمية الغراء في تقوية متن السنو وجعله يثبت على اللوح بشكل جيد، إذ إنه بدون مادة الصمغ سيصبح السنو (الحبر) مجرد مادة سوداء تتبدد بعد جفافها على اللوح على غرار الفحم. وهناك من يجعل الحبر ذا متن سميك فيجزئه على شكل كرات صغيرة يستعملها وقت الحاجة، بحيث تودع الكرة في المحبرة على القطنة (الثملة)، ويصب عليها قليل من الماء، فتصبح جاهزة للاستعمال.

كذلك يمكن الحصول على مداد الكتابة من غسيل الشيال، وهو مادة غير عضوية، بحيث يجمع في آنية ويضاف إليه شيء من الصمغ والملح وسواد القدور.[٥٠] وغسيل الشيال أو «الزاج» هو «نوع من الشب أسود اللون»[٥١] كانت تستخدمه النساء لصباغة الثياب باللون الأسود، وهناك من يستخدم مادة الزاج مباشرة بعد خلطها بالصمغ وشيء من سواد القدور.

وبالإضافة إلى أنواع المواد السابقة، عرفت نجد مواد أخرى صالحة للكتابة ولكنها لم تستخدم إلا على نطاق ضيق، وذلك إما لعدم كفاءتها، كالفحم وبعض أنواع الأحجار، وإما لندرتها كالشعشاع الذي تستخدمه النساء للزينة، أو لارتفاع قيمتها كالزعفران والعصفر. ويمكن أن يستخرج من بعض هذه المواد أحبار ذات ألوان مختلفة لكنها لا تستعمل إلا على القرطاس وذلك في فترات متأخرة.

أدوات ومواد الكتابة فيما بعد

تجدر الإشارة إلى أن أدوات الكتابة وموادها طرأ عليها بعض التحسن من حيث تنوع خاماتها ومصادرها، وذلك قبيل توحيد المملكة في منتصف القرن الهجري الماضي

---

(٤٩) يمكن الحصول على صمغ الطلح من شجره مباشرة، أو من الدكاكين التي كان أصحابها يجلبون هذه المادة ويعرضونها في زنابيل صغيرة، بحيث تستخدم مادة إضافية مع الحبر، *أو غراء لاستخدامات عديدة*، وهناك من يستخدم هذا الصمغ كعلاج شعبي لبعض الأمراض.

(٥٠) القويعي، *تراث الأجداد*، ص٣١٤.

(٥١) الشبل، «التعليم،» ص٥٠٩.

على يد المغفور له الملك عبدالعزيز . فقد ظهرت ألواح جديدة أعدت من ألواح الساج المستوردة لأغراض شتى غير الكتابة ، وهي أجزاء من صناديق خشبية كانت تحتوي على بضائع مختلفة من أهمها المشتقات البترولية وبالذات الكاز والنفط . حيث كانت هذه تصل إلى نجد من بعض الدول المجاورة كإيران والعراق ، وذلك في صفائح من التنك المصنع لتصدير هذه المواد . وقد استغلت ألواح هذه الصناديق وصنعت منها ألواح الكتابة على غرار ألواح خشب الأثل (لوحة رقم ٣) .

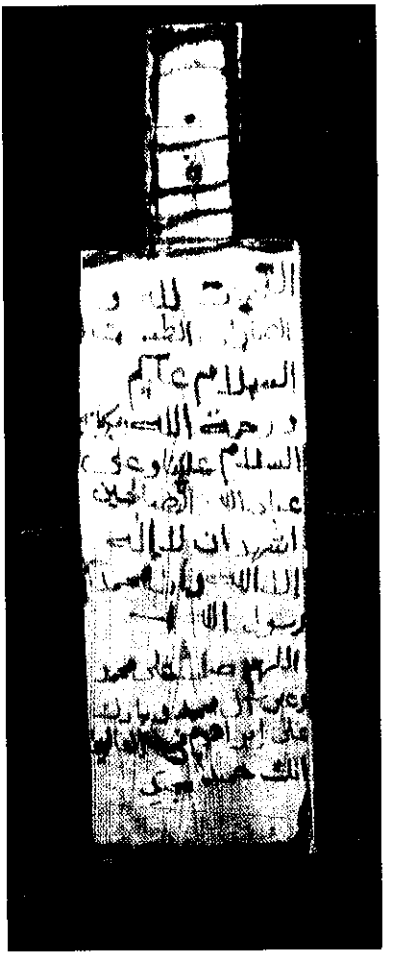

لوحة رقم ٣. لوح كتابة مصنوع من خشب الساج (متحف التراث الشعبي بكلية الآداب).

كما أن الدّوي (المحابر) الخشبية استبدلت عند كثير من الناس بأخرى معدنية جلب بعضها إلى منطقة نجد إما من خارج المملكة بواسطة التجار أو من الحجاز بواسطة الحجاج . وقد ظهرت هذه الدوي المعدنية على طرازين : الأول عبارة عن محفظة نحاسية ملساء على شكل جراب ، في أحد أطرافها غطاء بمفصلة ، وبجانبه على أحد أوجهها العريضة علبة دائرية صغيرة (محبرة) لها غطاء محكم بمفصلة . وحسب شكل هذه النوعية وأسلوب تجميع صفائحها النحاسية ، فإنه يبدو أنها من إنتاج صناع محليين . أما الطراز الثاني ، فهو يشبه سابقه شكلاً ، وإن كان يكبره حجماً ، لكنه مصنوع من البرنز (شكل رقم ٤) وأسطحه تكون في كثير من الأحيان مزخرفة بعناصر هندسية وكتابية جميلة . وإلى جانب هذه المحابر المعدنية استخدمت محابر مصنوعة من الفخار والخزف ، بعضها مصنوع محليًا ، ويتميز بخشونته ولونه الطبيعي ، وكذا خلوه من العناصر الزخرفية ، وبعضها مستورد عجينته خزفية ناعمة وتكثر على أسطحها العناصر الزخرفية ولها أشكال وأحجام متباينة .

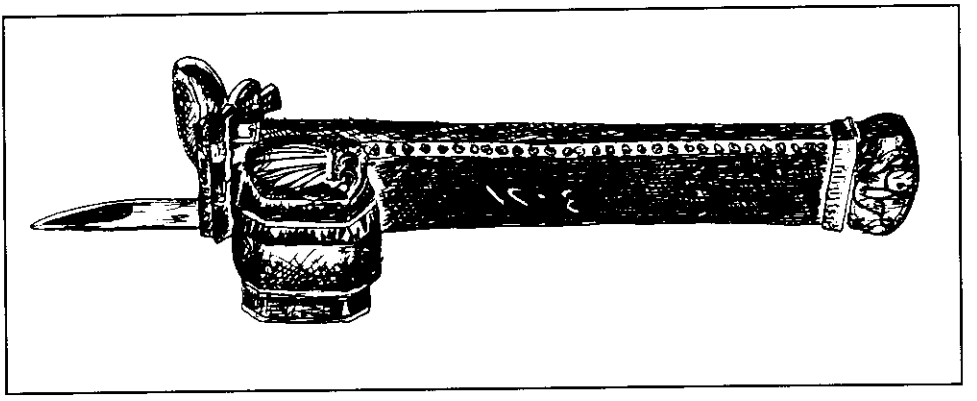

شكل رقم ٤. دواة برنزية ملساء.

كذلك وصلت إلى نجد من منطقة الحجاز على وجه الخصوص أقلام جديدة ذات ريشة معدنية مثبتة بعود أو أنبوب خشبي ، وكانت هذه الأقلام ذات أحجام وأشكال مختلفة (شكل رقم ٣هـ) ، كما كان يطلق عليها أسماء محلية يبدو أنها تنسب إلى موردها أو صانعها . وقد تزامن مع هذه الأقلام أنواع حديثة من الأحبار جلبت على شكل أقراص صغيرة تودع في المحبرة ثم تسكب عليها كمية قليلة من الماء وتكون جاهزة للكتابة على غرار الأحبار القديمة .

زخرفة أدوات الكتابة

يعد تجميل أدوات الكتابة بالعناصر الزخرفية شيئًا ليس ذا أهمية، ويكون لوح الكتابة وكذا الدواة - هما مجال الزخرفة في معظم الحالات - خلوًا من أي عنصر زخرفي. وفي تلك الحالات التي يظهر فيها لوح الكتابة مجملا بزخارف، فإنها تكون عبارة عن حزوز بسيطة على حوافه وخصوصًا العلوي منها، وكذلك على عروة التعليق، وإن كانت هذه تنال القدر الأكبر من اهتمام النجار بزخرفتها، حيث يحفر على وجهيها مثلثات مسننة على نمط الشرفات المعمارية المستخدمة في تلك الفترة. ولا شك أن قلة الزخارف على لوح الكتابة تعود إلى عدم وجود الفراغ المناسب لتنفيذها.

أما بالنسبة للدواة، فإن هناك مساحة أكبر لزخرفتها، حيث تستخدم مكوناتها داخليًا على غرار الصندوق أو العلبة. لذا فإن كامل أسطحها الخارجية صالحة للزخرفة، وعادة ما تكون عبارة عن حزوز عميقة ذات طابع هندسي كالمربعات والمعينات وما شابهها، أو عبارة عن مسامير صغيرة أو قمور صفراء تثبت على أسطحها بأشكال هندسية.

الآلات المستخدمة في إعداد أدوات الكتابة

إذا سلمنا بأن أكثر من يقوم بصناعة هذه الأدوات هو نجار محترف، فإن الآلات والأدوات التي يستخدمها في شتى مجالات حرفته هي نفسها المستخدمة لصناعة أدوات الكتابة وبشكل خاص اللوح والدواة، ومن أهم الآلات التي تدخل مباشرة في إعداد أدوات الكتابة مايلي:

١ - المنشار

ويستخدم مبدئيًا لقص وصلات الخشب التي ستصنع منها الأدوات، بالأحجام المطلوبة ثم تجهيز أجزائها المكملة الأساسية منها والثانوية (شكل ٥أ).

٢ - القدوم

تعد هذه الأداة من أهم أدوات النجار، إذ لاتكاد تصنع أية آنية أو أداة خشبية إلا واستخدم في إعدادها القدوم. فيه تفصّل الأخشاب وتعطى أشكالها وأحجامها المرادة، وبه تقص وتنقر وتحفر الأدوات الكتابية، كما يعتبر أداة بري جيدة لجميع أنواع الأقلام (شكل ٥ ب).

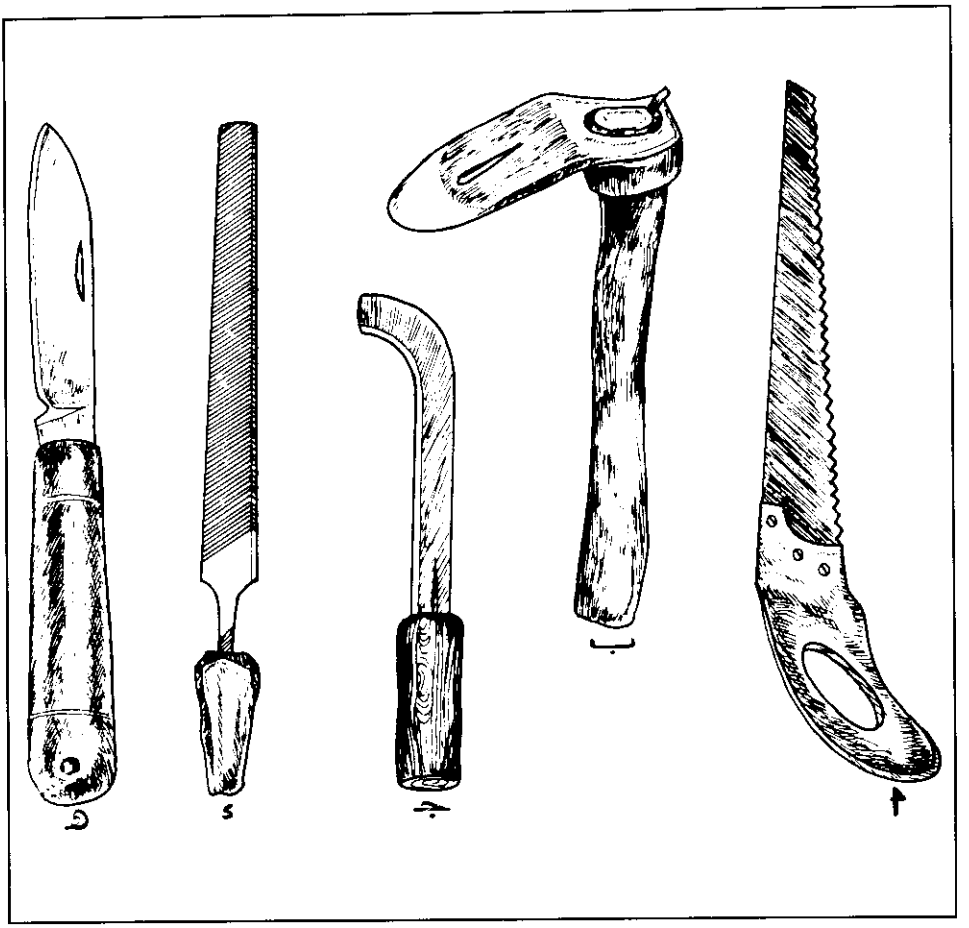

شكل رقم ٥. أدوات النجار التي كان يستخدمها لصناعة أدوات الكتابة.

٣ - المبشرة

ويطلق عليها أيضًا (المكرّة) وهي عبارة عن أداة بحجم وشكل المبرد تمامًا، إلا أن طرفها حاد ومعقوف وتستخدم لإزالة النتوءات الكبيرة من أسطح الأدوات الخشبية قبل أن تنعم بالمبرد، وهي تقوم مقام الرندة أو الفارة الحالية (شكل رقم ٥ جـ).

٤ - المبرد

يستخدم المبرد الناعم أو الخشن لصنفرة أسطح الخشب وجعلها ذات ملمس

مصقول، كما يستخدم لحفر الفجوات داخل الدواة كالمحبرة والمقلمة، وكذلك لتنفيذ الحزوز ذات الطابع الزخرفي (شكل رقم ٥د).

٥ - المبراة

وهي مدية ذات حجم صغير في معظم الأحيان، وتستخدم لبري الأقلام وتحويلها من أعواد إلى أقلام، ونظرًا لكثرة استخدامها في هذه المهمة، فقد اعتاد بناء نجد على إطلاق اسم «مبراة» على السكاكين الصغيرة (شكل رقم ٥ هـ).

خاتمة البحث

في نهاية هذا البحث أورد أهم النتائج التي توصلت إليها على النحو التالي:

أولا: أن لاستخدام مواد وأدوات الكتابة التقليدية المستخدمة في نجد جذورًا إسلامية أصيلة مبكرة، سواء من حيث موادها الخام أو من حيث أساليب صناعتها واستخدامها، كما أن هذه الأدوات كان لها أثر بارز في حركة التعليم في المملكة.

ثانيا: الاعتماد على المواد الخام البيئية المحلية في صناعة أدوات الكتابة وموادها، ولعل هذا مما يبرهن على كثرة استخدام أدوات الكتابة الخشبية مقابل الأدوات المعدنية التي كثر استخدامها في فترات لاحقة.

ثالثا: أن سمة البساطة وعدم التعقيد هي السمة المميزة التي اتصفت بها مواد وأدوات الكتابة التقليدية - الشعبية المستخدمة في نجد، وهذا يتوافق مع كثير من الأمور المادية والاجتماعية في فترة الدراسة.

رابعا: على الرغم من اتساع منطقة نجد وتباعد بلدانها إلا أن هناك الكثير من التشابه في أساليب تجهيز وصناعة واستخدام أدوات ومواد الكتابة.

خامسا: أن هناك أدوات خاصة بطلاب مرحلة التعليم الأولى (الكتّاب) كاللوح وما يتصل به من مواد الطلاء، وهناك أدوات ومواد أخرى تستخدم في الكتّاب وفي مراحل التعليم المتقدم كالأقلام والأحبار.

سادسا: استخدام أدوات ومواد كتابية مستوردة إلى جانب تلك الأدوات المحلية وخصوصًا في أواخر الفترة التي عنيت بها هذه الدراسة.

Traditional Tools and Materials Used in Writing in Najdi *Katātīb*

Abdullah I. Al-Omeir
Assistant Professor, Department of Archeology and Museology, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. The object of this research is to study the ancient traditional methods employed in writing in Najd utilizing local skills devoid of any external influences. The paper is divided into two parts. The first one deals with the traditional tools used in writing such as wooden slates, pencils and other accessories. The study also deals with the types of tools and the material used in preparation, places of production, etc. The second part deals with the methods and sources, both organic and inorganic, used in the production of the materials.